هوامش على الهوامش

نزار قباني

هوامش على دفتر النكسة[1]

1

أنعي لكم، يا أصدقائي، اللغةَ القديمه

والكتبَ القديمه

أنعي لكم..

كلامَنا المثقوبَ، كالأحذيةِ القديمه..

ومفرداتِ العهرِ، والهجاءِ، والشتيمه

أنعي لكم.. أنعي لكم

نهايةَ الفكرِ الذي قادَ إلى الهزيمه

2

مالحةٌ في فمِنا القصائد

[1] كتبت في أعقاب نكسة حزيران (يونيو) 1967

مالحةٌ ضفائرُ النساء

والليلُ، والأستارُ، والمقاعد

مالحةٌ أمامنا الأشياء

3

يا وطني الحزين

حوّلتَني بلحظةٍ

من شاعرٍ يكتبُ الحبَّ والحنين

لشاعرٍ يكتبُ بالسكين

4

لأنَّ ما نحسّهُ أكبرُ من أوراقنا

لا بدَّ أن نخجلَ من أشعارنا

5

إذا خسرنا الحربَ لا غرابهْ

لأننا ندخُلها..

بكلِّ ما يملكُ الشرقيُّ من مواهبِ الخطابهْ

بالعنترياتِ التي ما قتلت ذبابهْ

لأننا ندخلها..

بمنطقِ الطبلةِ والربابهْ

6

السرُّ في مأساتنا

صراخنا أضخمُ من أصواتنا

وسيفُنا أطولُ من قاماتنا

7

خلاصةُ القضيّهْ

توجزُ في عبارهْ

لقد لبسنا قشرةَ الحضارهْ

والروحُ جاهليّهْ...

8

بالنّايِ والمزمار..

لا يحدثُ انتصار

9

كلّفَنا ارتجالُنا

خمسينَ ألفَ خيمةٍ جديدهْ

10

لا تلعنوا السماءْ

إذا تخلّت عنكمُ..

لا تلعنوا الظروفْ

فالله يؤتي النصرَ من يشاءْ

وليس حدّاداً لديكم.. يصنعُ السيوفْ

11

يوجعُني أن أسمعَ الأنباءَ في الصباحْ

يوجعُني.. أن أسمعَ النُّباحْ..

12

ما دخلَ اليهودُ من حدودِنا

وإنما..

تسرّبوا كالنملِ.. من عيوبنا

13

خمسةُ آلافِ سنهْ..

ونحنُ في السردابْ

ذقوننا طويلةٌ

نقودنا مجهولةٌ

عيوننا مرافئُ الذبابْ

يا أصدقائي:

جرّبوا أن تكسروا الأبوابْ

أن تغسلوا أفكاركم، وتغسلوا الأثوابْ

يا أصدقائي:

جرّبوا أن تقرؤوا كتابْ..

أن تكتبوا كتابْ

أن تزرعوا الحروفَ، والرُّمانَ، والأعنابْ

أن تبحروا إلى بلادِ الثلجِ والضبابْ

فالناسُ يجهلونكم.. في خارج السردابْ

الناسُ يحسبونكم نوعاً من الذئابْ...

14

جلودُنا ميتةُ الإحساسْ

أرواحُنا تشكو منَ الإفلاسْ

أيامنا تدورُ بين الزارِ، والشطرنجِ، والنعاسْ

هل نحنُ "خيرُ أمةٍ قد أخرجت للناسْ" ؟...

15

كانَ بوسعِ نفطنا الدافقِ بالصحاري

أن يستحيلَ خنجراً..

من لهبٍ ونارِ..

لكنهُ..

واخجلة الأشرافِ من قريشٍ

وخجلة الأحرارِ من أوسٍ ومن نزارِ

يراقُ تحتَ أرجلِ الجواري...

16

نركضُ في الشوارع

نحملُ تحتَ إبطنا الحبالا..

نمارسُ السَحْلَ بلا تبصُّرٍ

نحطّمُ الزجاجَ والأقفالا..

نمدحُ كالضفادع

نشتمُ كالضفادع

نجعلُ من أقزامنا أبطالا..

نجعلُ من أشرافنا أنذالا..

نرتجلُ البطولةَ ارتجالا..

نقعدُ في الجوامعِ..

تنابلاً.. كُسالى

نشطرُ الأبياتَ، أو نؤلّفُ الأمثالا..

ونشحذُ النصرَ على عدوِّنا..

من عندهِ تعالى...

17

لو أحدٌ يمنحني الأمانْ..

لو كنتُ أستطيعُ أن أقابلَ السلطانْ

قلتُ لهُ: يا سيّدي السلطانْ

كلابكَ المفترساتُ مزّقت ردائي

ومخبروكَ دائماً ورائي..

عيونهم ورائي..

أنوفهم ورائي..

أقدامهم ورائي..

كالقدرِ المحتومِ، كالقضاءِ

يستجوبونَ زوجتي

ويكتبونَ عندهم..

أسماءَ أصدقائي..

يا حضرةَ السلطانْ

لأنني اقتربتُ من أسواركَ الصمَّاءِ

لأنني..

حاولتُ أن أكشفَ عن حزني.. وعن بلائي

ضُربتُ بالحذاءِ..

أرغمني جندُكَ أن آكُلَ من حذائي

يا سيّدي..

يا سيّدي السلطانْ

لقد خسرتَ الحربَ مرتينْ

لأنَّ نصفَ شعبنا.. ليسَ لهُ لسانْ

ما قيمةُ الشعبِ الذي ليسَ لهُ لسانْ؟

لأنَّ نصفَ شعبنا..

محاصرٌ كالنملِ والجرذانْ..

في داخلِ الجدرانْ..

لو أحدٌ يمنحُني الأمانْ

من عسكرِ السلطانْ..

قُلتُ لهُ: لقد خسرتَ الحربَ مرتينْ..

لأنكَ انفصلتَ عن قضيةِ الإنسانْ..

18

لو أننا لم ندفنِ الوحدةَ في الترابْ

لو لم نمزّقْ جسمَها الطَّريَّ بالحرابْ

لو بقيتْ في داخلِ العيونِ والأهدابْ

لما استباحتْ لحمَنا الكلابْ..

19

نريدُ جيلاً غاضباً..

نريدُ جيلاً يفلحُ الآفاقْ

وينكشُ التاريخَ من جذورهِ..

وينكشُ الفكرَ من الأعماقْ

نريدُ جيلاً قادماً..

مختلفَ الملامحْ..

لا يغفرُ الأخطاءَ.. لا يسامحْ..

لا ينحني..

لا يعرفُ النفاقْ..

نريدُ جيلاً..

رائداً..

عملاقْ..

20

يا أيُّها الأطفالْ..

من المحيطِ للخليجِ، أنتمُ سنابلُ الآمالْ

وأنتمُ الجيلُ الذي سيكسرُ الأغلالْ

ويقتلُ الأفيونَ في رؤوسنا..

ويقتلُ الخيالْ..

يا أيُها الأطفالُ أنتمْ – بعدُ- طيّبونْ

وطاهرونَ، كالندى والثلجِ، طاهرونْ

لا تقرؤوا عن جيلنا المهزومِ يا أطفالْ

فنحنُ خائبونْ..

ونحنُ، مثلَ قشرةِ البطيخِ، تافهونْ

ونحنُ منخورونَ.. منخورونَ.. كالنعالْ

لا تقرؤوا أخبارَنا

لا تقتفوا آثارنا

لا تقبلوا أفكارنا

فنحنُ جيلُ القيءِ، والزُّهريِّ، والسعالْ

ونحنُ جيلُ الدجْلِ، والرقصِ على الحبالْ

يا أيها الأطفالْ:

يا مطرَ الربيعِ.. يا سنابلَ الآمالْ

أنتمْ بذورُ الخصبِ في حياتنا العقيمهْ

وأنتمُ الجيلُ الذي سيهزمُ الهزيمهْ...

هوامش على دفتر الهزيمة

1

لا حربنا حرب، ولا سلامنا سلام
جميع ما يمر في حياتنا
ليس سوى أفلام..
زواجنا مرتجل
وحبنا مرتجل
كما يكون الحب في بداية الأفلام
وموتنا مقرر
كما يكون الموت في نهاية الأفلام

2

لم ننتصر يومًا على ذبابة
لكنها.. تجارة الأوهام
فخالد، وطارق، وحمزة
وعقبة بن نافع،
والزير، والقعقاع، والصمصام،
مكدسون كلهم..
في علب الأفلام..

3

هزيمة..
وراءها هزيمة..
وراءها هزيمة..
كيف لنا أن نربح الحرب
إذا كان الذين مثلوا..
وصوروا..
وأخرجوا..
تعلموا القتال في وزارة الإعلام؟؟

4

في كل عشرين سنة..
يأتي إلينا رجل مسلح
ليذبح الوحدة في سريرها
ويجهض الأحلام

5

في كل عشرين سنة..
يأتي إلينا حاكم بأمره
ليحبس السماء في قارورة
ويأخذ الشمس إلى منصة الإعدام

6

في كل عشرين سنه
يأتي إلينا نرجسي عاشق لذاته
ليدعي بأنه المهدي، والمنقذ،
والنقي، والتقي، والقوي،
والواحد، والخالد،
والحكيم، والعليم، والقديس،
والإمام...

7

في كل عشرين سنه
يأتي إلينا رجل مقامر
ليرهن البلاد، والعباد، والتراث،
والشروق، والغروب،
والأشجار، والثمار،
والذكور، والإناث،
والأمواج، والبحر،
على طاولة القمار..

8

في كل عشرين سنه
يأتي إلينا رجل معقد

يحمل في جيوبه أصابع الألغام..

9

ليس جديدًا خوفنا
فالخوف كان دائمًا صديقنا
من يوم كنا نطفة
في داخل الأرحام

10

هل النظام، في الأساس، قاتل؟
أم نحن مسؤولون
عن صناعة النظام؟

11

إن رضي الكاتب أن يكون مرة
دجاجة..
تعاشر الديوك.. أو تبيض.. أو تنام..
فاقرأ على الكتابة السلام...

12

للأدباء عندنا نقابة رسمية

تشبه في تشكيلها
نقابة الأغنام..

13

ثم ملوك أكلوا نساءهم
في سالف الأيام
لكنما الملوك في بلادنا
تعودوا أن يأكلوا الأقلام..

14

مات ابن خلدون الذي نعرفه
وأصبح التاريخ في أعماقنا
إشارة استفهام!!

15

هم يقطعون النخل في بلادنا
ليزرعوا مكانه..
للسيد الرئيس، غابات من الأصنام!

16

لم يطلب الخالق من عباده

أن ينحتوا يومًا له
مليون تمثال من الرخام!!

17

تقاطعت في لحمنا خناجر العروبه
واشتبك الإسلام بالإسلام...

18

بعد أسابيع من الإبحار في مراكب الكلام
لم يبق من قاموسنا الحربي
إلا الجلد والعظام..

19

طائرة (الفانتوم)
تنقض على رؤوسنا
ونحن نستقوي بزنار (أبي تمام)!

20

الحرب..
لا تربحها وظائف الإنشاء
ولا التشابيه.. ولا النعوت.. والأسماء

مقتلنا يكمن في لساننا
فكم دفعنا غاليًا ضريبة الكلام..

21

من الذي ينقذنا من حالة الفصام؟
من الذي يقنعنا بأننا لم نهزم؟
ونحن كل ليلة..
نرى على الشاشات جيشًا جائعًا.. وعاريًا..
يشحذ من خنادق الأعداء (ساندويشة)
وينحنى.. كي يلثم الأقدام!!

22

قد دخل القائد – بعد نصره-
لغرفة الحمام
ونحن قد دخلنا
لملجأ الأيتام!!

23

نموت مجانًا.. كما الذباب في إفريقيا
نموت كالذباب
ويدخل الموت علينا ضاحكاً
ويقفل الأبواب

نموت بالجملة في فراشنا
ويرفض المسئول عن ثلاجة الموتى
بأن يفصل الأسباب
نموت.. في حرب الإشاعات..
وفي حرب الإذاعات..
وفي حرب التشابيه..
وفي حرب الكنايات..
وفي خديعة السراب
نموت.. مقهورين، منبوذين، ملعونين..
منسيين كالكلاب..
والقائد السادي في مخبئه
يفلسف الخراب..

24

مضحكة مبكية
معركة الخليج
فلا النصال انكسرت فيها على النصال
ولا الرجال نازلوا الرجال
ولا رأينا مرة..
آشور بانيبال
فكل ما تبقى .. لمتحف التاريخ..
أهرام من النعال!!

25

في كل عشرين سنه
يجيئنا مهيار
يحمل في يمينه الشمس،
وفي شماله النهار.
ويرسم الجنات في خيالنا
وينزل الأمطار
وفجأة..
يحتل جيش الروم كبرياءنا
وتسقط الأسوار!!

26

في كل عشرين سنه
يأتي امرؤ القيس على حصانه
يبحث عن ملك من الغبار...

27

أصواتنا مكتومة
شفاهنا مختومة
شعوبنا ليست سوى أصفار...
إن الجنون وحده،
يصنع في بلادنا القرار...

28

نكذب في قراءة التاريخ
نكذب في قراءة الأخبار
ونقلب الهزيمة الكبرى
إلى انتصار...

29

يا وطني الغارق في دمائه
يا أيها المطعون في إبائه
مدينة مدينة..
نافذة نافذة..
غمامة غمامة..
حمامة حمامة..
مئذنة مئذنة..
أخاف أن أقرئك السلام..

30

يسافر الخنجر في عروبتي
يسافر الخنجر في رجولتي
هل هذه هزيمة قطرية؟
أم هذه هزيمة قومية؟
أم هذه هزيمتي؟؟

الديك

1

في حارتنا
ديك سادي ، سفاح
ينتف ريش دجاج الحارة كل صباح.
ينقرهن..
يطاردهن..
يضاجعهن..
ويهجرهن..
ولا يتذكر أسماء الصيصان.

2

في حارتنا
ديك يصرح عند الفجر
كشمشون الجبار.
يطلق لحيته الحمراء،
ويقمعنا ليلًا ونهار.
يخطب فينا..
ينشد فينا..

يزني فينا..
فهو الواحد، وهو الخالد،
وهو المقتدر الجبار.

3

في حارتنا
ثمة ديك عدواني،
فاشيستي،
نازي الأفكار.
سرق السلطة بالدبابة..
ألقى القبض على الحرية والأحرار.
ألغى وطناً.
ألغى شعباً.
ألغى لغة.
ألغى أحداث التاريخ..
وألغى ميلاد الأطفال..
والغى أسماء الأزهار..

4

في حارتنا
ديك يلبس في العيد القومي

لباس الجنرالات..
يأكل جنسًا..
يشرب جنسًا..
يسكر جنسًا..
يركب سفناً من أجساد..
يهزم جيشًا من حلمات..

5

في حارتنا
ديك من أصل عربي
فتح الكون بآلاف الزوجات!!

6

في حارتنا
ثمة ديك أمي
يرأس إحدى الميليشيات
لم يتعلم إلا الغزو..
وإلا الفتك..
وإلا زرع حشيش الكيف..
وتزوير العملات..
كان يبيع ثياب أبيه..

ويرهن خاتمه الزوجي..
ويسرق حتى أسنان الأموات..

7

في حارتنا
ديك. كل مواهبه
أن يطلق نار مسدسه الحربي
على رأس الكلمات..

8

في حارتنا
ديك عصبي مجنون
يخطب يوماً كالحجاج..
ويمشي زهواً كالمأمون.
يصرخ في مئذنة الجامع:
"يا سبحاني. يا سبحاني"
"فأنا الدولة، والقانون"..

9

كيف سيأتي الغيث إلينا؟
كيف سينمو القمح؟
وكيف يفيض علينا الخير..
وتغمرنا البركة؟
هذا وطن لا يحكمه الله..
ولكن تحكمه الديكة...

10

في بلدتنا
يذهب ديك
يأتي ديك
والطغيان هو الطغيان
يسقط حكم لينيني..
يهجم حكم أمريكي..
والمسحوق هو الإنسان..

11

حين يمر الديك بسوق القرية
مزهوًا، منفوش الريش
وعلى كتفيه تضي نياشين التحرير
يصرخ كل دجاج القرية في إعجاب:
"يا سيدنا الديك..
"يا مولانا الديك..
"يا جنرال الجنس.. ويا فحل الميدان..
"أنت حبيب ملايين النسوان..
"هل تحتاج إلى جارية؟
"هل تحتاج إلى خادمة؟
"هل تحتاج إلى تدليك؟..".

12

حين الحاكم سمع القصة،
أصدر أمرًا للسياف بذبح الديك
قال بصوت غاضب:
"كيف تجرأ ديك من أولاد الحارة
"أن ينتزع السلطة مني..
"كيف تجرأ هذا الديك؟؟
"وأنا الحاكم دون شريك!!

لندن 1992

من يوميات شقة مفروشة

1

هذي البلاد، شقة مفروشة
يملكها شخص يسمى عنترة
يسكر طول الليل عند بابها
ويجمع الإيجار من سكانها
ويطلب الزواج من نسوانها
ويطلق النار على الأشجار، والأطفال،
والعيون، والأثداء..
والضفائر المعطرة...

2

هذي البلاد كلها..
مزرعة شخصية لعنتره
سماؤها
هواؤها
نساؤها
حقولها المخضوضرة..

3

كل البنايات هنا
يسكن فيها عنتره
كل الشبابيك..
عليها صورة لعنتره..
كل الميادين هنا
تحمل إسم عنتره..

4

عنترة يقيم في ثيابنا
في ربطة الخبز..
وفي زجاجة الكولا..
وفي أحلامنا المحتضره
في عربات الخس، والبطيخ،
في الباصات،
في محطة القطار،
في جمارك المطار،
في طوابع البريد،
في ملاعب "الفوتبول"،
في مطاعم (البيتزا)..
وفي كل فئات العملة المزورة..

5

مدينة مهجورة.. مهجره..
لم يبق فيها فأرة، أو نملة..
أو جدول، أو شجره..
لا شيء فيها يدهش السياح
الا الصورة الرسمية المقررة
للجنرال عنتره.
في غرفة الجلوس،
في الحمام،
في المرحاض،
في ميلاده السعيد،
في ختانه المجيد،
في قصوره الشامخة..
الباذخة.. المسورة..

6

ما من جديد
في حياة هذه المدينة – المستعمره
فحزننا مكرر
ونكهة القهوة في شفاهنا
مكرره..
فمنذ أن ولدنا
ونحن محبوسون

في زجاجة الثقافة المدورة..
واللغة المدوره..
ومذ دخلنا المدرسة
ونحن لا ندرس إلا سيرة ذاتية واحدة
تخبرنا عن عضلات عنتره..
ومكرمات عنتره..
ومعجزات عنتره..
ولا نرى، في كل دور السينما
إلا شريطاً عربياً مضجرًا
يلعب فيه عنتره!!

7

لا شيء في إذاعة الصباح نهتم به
فالخبر الأول فيها
خبر عن عنتره
لا شيء في البرنامج الثاني سوى
عزف على القانون
من مؤلفات عنترة.
وباقةٍ من أردأ الشعر..
بصوت عنتره..
ولوحة زيتية
من خربشات عنترة..

8

هذي بلاد
يمنح الكتاب فيها صوتهم
لسيد المثقفين عنتره
يجملون قبحه.
يؤرخون عصره.
وينشرون فكره.
ويقرعون الطبل
في حروبه المظفره..

9

لا نجم فوق شاشة التلفاز
إلا عنتره.
بقده المياس..
أو ضحكته المعبره.
يوماً، بزي الدوق والأمير.
يوماً، بزي الكادح الفقير.
يوماً، بزي الواحد القدير.
يوماً، على دبابة روسية..
يوماً، على مجنزرة..
يوماً، على أضلاعنا المكسره..

10

لا أحد..
يجرؤ أن يقول (لا)..
للجنرال عنتره.
لا أحد..
يجرؤ أن يسأل أهل العلم في المدينه
هل وجد الخالق قبل عنتره ؟
أم وجد الخالق بعد عنتره ؟
إن الخيارات هنا محدودة
بين دخول السجن..
أو بين دخول المقبرة..

11

لا شيء..
في مدينة المليون تابوت..
سوى تلاوة القرآن..
والسرادق الكبير..
والجنائز المنتظرة.
لا شيء..
إلا رجل يبيع في حقيبة
تذاكر الدخول للقبر..
يسمى عنتره..

12

عنترة العبسي
لا يتركنا دقيقة واحدة
فمرة، يأكل من طعامنا.
ومرة، يشرب من شرابنا.
ومرة ، يندس في فراشنا.
ومرة، يزورنا مسلحاً
ليقبض الإيجار..
عن بلادنا المستأجرة..

13

هل ممكن؟
هل ممكن؟
أن يستقيل الله من سمائه
وأن تموت الشمس،
والنجوم،
والبحار،
والغابات،
والرسول والملائكة..
ولا يموت عنترة؟؟

لندن 1990

تاريخنا ليس سوى إشاعة!

1

من أين يأتينا الفرح؟
ولوننا المفضل السواد.
نفوسنا سواد.
عقولنا سواد.
داخلنا سواد.
حتى البياض عندنا
يميل للسواد..

2

من أين يأتينا الفرح؟
وكل ما يحدث في حياتنا
مسلسل استبداد
الوطن استبداد
والهجرة استبداد
والصحف الرسمية استبداد
والشرطة السرية استبداد
والزوجة استبداد..
وعشقنا لامرأة جميلة جداً

هو استبداد!!

3

من أين يأتينا الفرح؟
وكل طفل عندنا
تجري على ثيابه دماء كربلاء..
والفكر في بلادنا أرخص من حذاء
وغاية الدنيا لدينا:
الجنس.. والنساء..

4

من أين يأتينا الفرح؟
ونحن، من يوم تخاصمنا
على النسوان في غرناطة
تفككت أمتنا
وهرهرت دولتنا.
وطارت البلاد..

5

الشجر الأطول في بلادي
شجر الأحقاد!!

6

يدهشني..
بأن كل امرأة في وطني
تلبس في زفافها
ملابس الحداد..

7

ليس لدينا أمة خالدة
أو دولة واحدة
وإنما أفراد..

8

هل هذه جرائد نقرؤها؟
أم أنها جنازة
ودعوة للحزن والحداد؟؟

9

نصوصنا منقولة
أصواتنا،
تخرج من حناجر الأجداد..

10

أكره (ألف ليلة)
وأكره النوم كمجذوب
على ذراع شهر زاد.

11

من أين يأتينا الفرح؟
أطفالنا ما شاهدوا في عمرهم
قوس قزح..

12

من أين يأتينا الفرح؟
ونحن من يوم خرجنا من فلسطين
ومن ذاكرة الليمون، والخوخ،
تحولنا إلى رماد..

13

ونحن من يوم تركنا
بحر بيروت..
تركنا خلفنا
أثداء أمهاتنا.

وورد ذكرياتنا.
وبيت حرياتنا.
كما تركنا خلفنا
شهادة الميلاد..

14

لقد أكلنا بعضنا بعضًا
فهل تعذرنا
الأسماك والجراد؟

15

حتى ثياب الله في بلادنا
تباع بالمزاد!!

16

من أين يأتينا الفرح؟
ما طار طير عندنا..
إلا انذبح..
ولا نبي جاءنا
إلا بأيدينا انذبح..
ولا أتانا مصلح، أو مبدع
أو كاتب، أو شاعر

إلا على وسادة الشعر..
انذبح..

17

محرم في وطني
تنقل الهواء..
محرم..
تنقل الكحلة فوق أعين النساء..
محرم تنقل القصيدة..
محرم..
تنقل الأفعال، والأسماء..

18

يرتعب الحكام
في العالم الثالث،
من صوت العصافير..
ومن ضوع الأزاهير..
ومن زقزقة الحمام.
ويدخلون البحر للسجن...
إذا أسرف في الكلام..
صعب على الحكام
في عالمنا الثالث
أن يصالحوا الفكر..

وأن يصادقوا الأقلام.
هل يستطيع الذئب
أن يصادق الأغنام؟؟

19

في سالف الزمان كنا
أمراء الشعر..
والبيان.. والبديع.. والخطابه..
وأصبحت مهنتنا الآن..
بأن نفترس الكتابه!!

20

أول قصر
من قصور العلم والثقافة..
أسسه الخليفة المأمون
وجاء حكام إلى بلادنا من بعده..
تخصصوا في مهنة القتل..
وفي هندسة السجون!!

21

في زمن الطفولة
قرأت آلاف الأقاصيص

عن النخوة..
والنجدة..
والعزة..
والإباء، والفداء،
والسخاء، والشجاعة..
ثم اكتشفت عندما دخلت في الكهولة..
بأن نصف ما قرأته
في حصة التاريخ،
ما كان سوى إشاعه!!

البحث عن سيدة اسمها "الشورى"

1

سيدتي الشورى:
ما أحوالك؟
ما عنوانك؟
ما صندوق بريدك؟
هل يمكنني أن ألقاك لخمس دقائق
يا سيدتي الشورى؟..
فتشنا عنك طويلًا
بين الماء.. وبين الماء..
وبين الرمل.. وبين الرمل..
وبين القتل.. وبين القتل..
وبين قريش.. وقريش..
فوجدنا أنقاض خيول
ووجدنا أجزاء سيوف
ووجدنا أشباه رجال
ووجدنا جيشًا مدحوراً..

2

سيدتي..

سيدتي الشورى:
فتشنا عنك بأقسام البوليس،
وقائمة السجناء،
وطابور الغرباء،
وفي غرف الإنعاش،
وثلاجات الموتى..
فتشنا..
حتى في أمعاء الحاكم..
عن سيدة فقدت منذ القرن الأول منا،
تدعى الشورى.
فوجدنا رأساً مقطوعًا..
ووجدنا جسداً مغتصباً..
ووجدنا نهداً مبتوراً..

3

من يوم ولدنا
نسمع عن حكم الشورى
وبأن الشعب شريك في التفكير..
وفي التدبير..
وفي التنظير..
كما تقضي أنظمة الشورى
لكنا.. لم نسأل أبداً
إن كنا في الأصل إناثًا
أو كنا في الأصل ذكوراً..

أو كنا بشراً.. أو كنا
قططاً.. وكلاباً.. وطيورا..

4

أو كنا نأكل فاكهة
أو نأكل تبنا.. وشعيرا..
وبقينا في رسم الإيجار
تحلبنا الدولة كالأبقار
لا نعرف من يستأجرنا
لا نعرف من هو مالكنا
لا نعرف من في اليوم التالي يركبنا..
وبقينا نسأل أنفسنا
هل هي شوربة..
أم شورى؟؟

5

لو أنت دخلت على فرعون
في عزلته الأبديه
ستشاهد فوق عباءته
قطرات دماء بشريه.
وتشاهد فوق وسادته
امرأة دون ذراعيها..
وقصائد دون ذراعيها..

وخواتم ذهب مرميه..
وتشاهد تحت أظافره
قطعًا من لحم الحريه..

6

من يوم ولدنا
نسمع عن حكم الشورى
لكن الحاكم في الشرق الأوسط
قد بال على عقل الإنسان ..
وبال على رأي الإنسان
وبال على حكم الشورى..
واحترف الرقص على أجساد الشعب
وشيد للظلم قصورا..
ورمانا في آتون الحرب
وأحرق أمماً وعصوراً..
فأفقنا في ذات صباح
لنرى أنفسنا مكتوبين بقائمة الموتى
ونرى الرايات ممزقة
ونرى الجدران مهدمة
ونرى الأجساد مفحمة
ونرى أكفاناً وقبورا
وأفقنا في ذات صباح
لنلملم وطناً مكسوراً..
وعرفنا – بعد سقوط البصرة -

ما معنى الشورى!!

7

ما زلنا منذ طفولتنا
نتفاءل باللون الكاكي
ونفرح بالعقداء..
وبالنجمات على الأكتاف..
وبالخوذات..
وبالجزمات..
وبالأزرار..
ما زلنا..
ـ منذ بدأنا نقرأ ـ
نتلو قرآن الثوار..
ونغطي دبابات الجيش الظافر
بالقبلات.. وبالصلوات..
وبالأزهار.
ونحدد يوم ولادتنا
بمجيء الضباط الأحرار..

8

لا لغة..
تجمع بين الحاكم والمحكوم لدينا

إلا لغة البلطة والمنشار..
لا خيط يجمع بينهما
إلا ما يجمع
بين القط.. وبين الفار..

9

.. وأتانا الضباط الأحرار.
وبدأنا ننسى ضوء الشمس،
وصوت البحر،
وألوان الأشجار..
وبدأنا نسقط تحت نعال الخيل،
ونصلب في غرف التعذيب،
ونشوى في أفران النار..
وبدأنا نأخذ
شكل الإنسان – الصرصار.
وبدأنا نسأل أنفسنا:
أهنالك رب يسمعنا خلف الأسوار؟؟

10

يتكسر وطني
مثل قوارير الفخار
تنقرض الأمة بين الماء وبين الماء..
تهاجر أسماك وبحار.

تنهار بنايات التاريخ جداراً بعد جدار..
وأنا أتأمل ما تعرضه الشاشة
من أخبار العار..
ومذيع الدولة، يعلن دون حياء،
"أنا قد حققنا النصر..
بفضل نضال الحزب..
وفضل الضباط الأحرار" !!

لندن 1991

إلى أين يذهب موتى الوطن؟

1

نموت مصادفة..
ككلاب الطريق.
ونجهل أسماء من يصنعون القرار.
نموت...
ولسنا نناقش كيف نموت؟
وأين نموت
فيوماً نموت بسيف اليمين
ويوماً نموت بسيف اليسار..
نموت من القهر
حرباً وسلماً..
ولا نتذكر أوجه من قتلونا
ولا نتذكر أسماء من شيعونا
فلا فرق – في لحظة الموت -
بين المجوس..
وبين التتار..

2

بلاد..
تجيد كتابة شعر المراثي
وتمتد بين البكاء.. وبين البكاء
بلاد..
جميع مدائنـها كربلاء..

3

بلاد..
بكعب الحذاء تدار..
فلا من حكيم..
ولا من نبي..
ولا من كتاب.
بلاد..
بـها الشعب يأخذ شكل الذباب!!

4

بلاد..
يدير المسدس فيـها شؤون الحوار
بلاد يسيجها الخوف،
حيث العروبة تـغدو عقاباً..

وحيث الدعارة تصبح طهراً
وحيث الهزيمة تغدو انتصاراً..

5

مبادئ.. بالرطل مطروحة
على عربات الخضار..
دساتير..
تكفل حرية الرأي.. تعرض كالفجل
في عربات الخضار
قصائد.. ليس عليها إزار
تضاجع في الليل كل خليفه..
وترضي جميع جنود الخليفه..
وترمي صباحاً كأية جيفه
على عربات الخضار..

6

بلاد.. بدون بلاد
فأين مكان القصيدة
بين الحصار، وبين الحصار؟
كأن الكتابة في مدن الملح
فعل انتحار..

7

بلاد..
تحاول أشجارها
من اليأس،
أن تتوسل تأشيرة للسفر..

8

بلاد..
تخاف على نفسها من قصيدة شعر..
ومن قمر الليل،
حين يمشط شعر المساء.
وتخشى على أمنها
من بريد الهوى..
وعيون النساء..

9

أفتش عن وطن لا يجيء..
وأسكن في لغة
ليس فيها جدار..

10

بلاد..
تعد حقائبها للرحيل
وليس هناك رصيف
وليس هناك قطار..

11

إلى أين يذهب موتى الوطن؟
وكل العقارات فيه
مخصصة لاستضافة من يحرسون الرئيس..
ومن يدلكون بزيت البنفسج صدر الرئيس..
وظهر الرئيس..
وبطن الرئيس..
ومن يحملون إليه كؤوس اللبن..
إلى أين يذهب؟
من سقطوا في حروب الرئيس؟
وما عندهم شقة للسكن!!

12

ولو موتنا
كان من أجل أمر عظيم

لكنا ذهبنا إلى موتنا ضاحكين
ولو موتنا كان من أجل وقفة عز
وتحرير أرض..
وتحرير شعب..
سبقنا الجميع إلى جنة المؤمنين
ولكنهم.. قرروا أن نموت..
ليبقى النظام..
وأعمام هذا النظام..
وأخوال هذا النظام..
وتبقى تماثيل مصنوعة من عجين!!

13

يموت الملايين منا
ولا تتحرك في رأس قائدنا
شعرة واحدة..
ولم أك أعرف أن الطغاة
يضيقون بالآلة الحاسبه..

14

أحاول بالشعر..
أن أستعيد مرايا النهار.
وعشب الحقول،
وضوء النجوم،

ولون البحار.
وأستنبت القمح من تحت هذا الدمار.

15

أحاول بالشعر..
إنهاء عصر التخلف،
حتى أؤسس عصراً جديدًا
من الورد والجلنار.

16

أحاول بالشعر..
تفجير عصر
وتغيير كون..
وإشعال نار..

17

بحثت طويلاً عن المتنبي
فلم أر من عزة النفس
إلا الغبار..
بحثت عن الكبرياء طويلاً
ولكنني لم أشاهد
بعصر المماليك

إلا الصغار.. الصغار..

لندن 1991

الكتابة بالحبر السري

-1-

هم يكتبون.. كأنهم لا يكتبون
ويعاصرون سقوط تاريخ..
وهم مثل الدجاج مجلدون..
ويسافرون..
بغير أقدامٍ، على أوراقهم
ويضاجعون نساءهم ليلاً
وهم متنكرون..

-2-

وطن تناثر كالغبار أمامهم
وهم على أطلاله يتنزهون..
هم خائفون..
على أناقتهم..
وقصة شعرهم..
وعلى نشاء قميصهم..
هم خائفون

-3-

الشاربون النفط..
حتى يبدعوا..
من بعد زيت الكاز..
ماذا يشربون؟
هل هؤلاء طليعةٌ ثوريةٌ
أم باعةٌ متجولون؟؟

-4-

البائعون ثقافةً مغشوشةً
والكاتبون قصائداً سريةً
والراقدون بغرفة الإنعاش..
لا يتحركون..
والسائحون على ضفاف جراحنا
ماذا سيفعل هؤلاء السائحون؟
فمن المقاهي..يعلنون حروبهم
ومن المقاهي..
يطلقون رصاصهم
وعلى كراسيها الوثيرة
يحضنون بيوضهم..
ويفرخون..
ما أجبن الثورات

تخرج من كؤوس اليانسون!!

-5-

ماذا يريد الأنبياء الكاذبون؟
الثائرون على دفاترهم
وهم عند النظام.. موظفون
والشاهرون سيوف أحرفهم
وهم متقاعدون..
والحاملون طبولهم.. ودفوفهم..
فبكل عرسٍ سلطوي
يدبكون.. ويرقصون..
ولكل طاغيةٍ..
يضيئون الشموع..
ويسجدون..
ويركعون...

-6-

ماذا يريد الهاربون
من الشهامة، والرجولة،
ما يريد الهاربون؟
الجالسون أمام شطآن الخليج
يدخنون..
ماذا يريد النرجسيون

الذين بحسنهم يتغزلون؟
وبشعرهم يتغزلون..
وبنثرهم يتغزلون..

-7-

الرائدون..
وليس ثم ريادةٌ.. أو رائدون..
والجالسون أمام أبواب الجوامع..
والكنائس..
والتكايا..
يشحذون

-8-

ماذا يريد اللاعبون على اللغات
الشاطرون..
الماكرون؟
الشاهدون على جريمة شنقنا
ماذا تراهم يشهدون؟
والساكتون على اغتصاب نسائنا..
في أي يومٍ يغضبون؟
في آب؟ في أيلول؟ في تشرين؟

في يوم القيامة ـ ربما ـ
هم يغضبون!!

-9-

لا شيء..
في العصر البيزنطي الجديد يهزهم..
لا شيء..
في عصر المماليك الجديد يهزهم..
لا شيء..
في عصر (المارينز) يثيرهم
كي يصرخوا..
أو يرفضوا..
أو يبصقوا..
أو يعلنوا رأياً..
فهم موتى
وماذا قد يقول الميتون؟

-10-

من هؤلاء السادة المستشرقون؟
ولأي شعبٍ؟
أي أرضٍ؟

أي دينٍ؟
أي رب ينتمون؟
ما مسهم حرٌ، ولا قرٌ،
ولا قلقٌ، ولا أرقٌ،
ولا حزنٌ..
ولا من يحزنون..
يتكلمون.. بألف موضوعٍ
ولا يتكلمون..
ويحركون شفاههم
ولكنهم لا ينطقون..
ويشاهدون جنازة الوطن القتيل أمامهم
تمشي..
فلا يترحمون..

-11-

من هؤلاء الطارئون على مشاكل عصرنا؟
من هؤلاء الطارئون؟
هم يزعمون بأنهم سيغيرون خريطة الدنيا..
وهم متخلفون..
وبأنهم سيحررون الفكر والإنسان في كلماتهم
وهم على كل الموائد يخدمون..
وبأنهم عربٌ غطاريفٌ
وهم مستعربون..

-12-

من هؤلاء
الخائفون على طراوة جلدهم؟
وعلى تناسق خصرهم
وعلى أنوثة صوتهم
من هؤلاء المترفون؟
هل هؤلاء طليعة ثوريةّ؟
أم باعةّ متجولون؟؟

لندن 1990

الفهرس